

دلائل الإعجاز

على ذلك أنه كأنه يسرق علم ذلك من نفسه ويدفع صورته عن وهمه ليحصل له معنًى شريفٌ وغرضٌ خاصٌ . وذاك أنه يمدح خليفةً وهو المعتزُّ ويعرِّضُ خليفةً وهو المستعينُ . فأرادَ أن يقولَ : إنَّ محاسنَ المعتز وفضائله والمحاسنُ والفضائلُ يكفي فيها أن يَقَعَ عليها بصرٌ وَيَعْبَها سَمْعٌ حتى يعلمَ أنه المستحقُّ للخلافة . والفردُ الوحيدُ الذي ليس لأحدٍ أن يَنازِعَه مَرَّ تَبَتَّها فانتَ ترى حسَّادَه وليس شيءٌ أشجَى لهم وأغبطَ من علمهم بأن هاهُنَا مُبْصِرًا يَرى وسامعًا يَعِي حتى ليتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يعي معها كي يَخْفَى مكانُ استحقاقِه لشرفِ الإمامة فيجدوا بذلك سبيلًا إلى مُنازَعته إياها .

وهذا نوع آخر منه وهو أن يكونَ معك مفعولٌ معلومٌ مقصودٌ قصدُه قد عُلِمَ أنه ليس للفعلِ الذي ذكرتَ مفعولٌ سِواهُ بدليلِ الحالِ أو ما سَبَقَ منَ الكلامِ إلا أنك تطرحُه وتَتَناساه وتَدْعُه يَلْزَمُ ضميرَ النفسِ لغرضٍ غيرِ الذي مَضَى وذلك الغرضُ أن تتوفَّرَ العنايةُ على إثباتِ الفعلِ للفاعلِ وتخلُصَ له وتنصرفَ بجُمْلَتها وكما هي إليه . ومثاله قولُ عمرو بن معدي كَرَب - طويل - : (فلو أن قَوْمي أُنْطَقَتْنِي رِمَادُهُمْ ... نَطَقْتُ ولكنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ) .

" أَجَرَّتْ " فعلٌ متعدٍ ومعلومٌ أنَّهُ لو عدَّاه لما عدَّاه إلاَّ إلى ضميرِ المتكلم نحوُ : " ولكنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْنِي " وأنه لا يُتَصَوَّرُ أن يكونَ هاهُنَا شيءٌ آخرٌ يتعدَّى إليه لاستحالة أن يقولَ : فلو أنَّ قومي أنطقتنِي رِمَادُهُمْ ثم يقولَ : ولكنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ غَيْرِي . إلاَّ أنك تجدُ المعنى يلزمُك أن لا تنطقَ بهذا المفعولِ ولا تُخْرِجَه إلى لفظك . والسببُ في ذلك أن تعدَّيتك له توهِّمُ ما هو خلافُ الغرضِ وذلك أن الغرضَ هو أن تُثْبِتَ أنه كان منَ الرِّمَاحِ إجماعٌ ودَبَسُ الألسنِ عن النُّطْقِ وأن تصحِّحَ وجودَ ذلك . ولو قال " أَجَرَّتْنِي " جازَ أن يتوهَّمَ أنه لم يُعْنِ بأن يثبتَ للرِّمَاحِ إجماعًا بل الذي عدَّاه أن يَبَيِّنَ أنها أَجَرَّتْه . فقد يذكِّرُ الفعلُ